صور العـادات والتقاليد في مقامـات بديع الزمان الهمذانـي

*خالد محمود المزيد **

ملخـص

يتناول هذا البحث صوراً من عادات مجتمع العصر العباسي وتقاليده من خلال مقامات بديع الزمان الهمذاني.

ويستخلص من البحث ما يلي:

ان هذا البحث يتناول صوراً من عادات مجتمع العصر العباسي وتقاليده من خلال مقامات بديع الزمان الهمذاني، من مثل: عاداتهم في اختيار الأصدقاء والزوجة، ووسائل الترفيه، واهتمامهم بالبحث عن الكنوز القديمة، وأهمية المظهر الخارجي في تحقيق الرجل لمكانته الاجتماعية، وانتشار الفقر الذي أدى الى الكدية، وكثرة الحمامات وبعض عاداتهم عند دخولها والتعرف على بعض أساليب السب والشتم وغير ذلك.

الكلمات الدالـة: العصر العباسي، بديع الزمان الهمذاني، مقامات، عادات، تقاليد.

المقدمـــة

يتناول هذا البحث صوراً من عادات مجتمع العصر العباسي وتقاليده، من خلال مقامات بديع الزمان الهمذاني، ذلك أن فن المقامات فن لصيق بحياة العامة، ولا سيما الكداة منهم، يرصد طرائف عيشهم، وسبل حيلهم في سبيل التموية على الناس من أجل التكسب.

ويلاحظ المتتبع لهذا الفن أن الهمذاني في معرض حديثة عن هؤلاء كان يعكس بنية مجتمع العامة ولذلك فإنه يحسن بالباحث الراغب في تكوين صورة عن ذلك المجتمع أن يجعل من المقامات محوراً لدراسته ليصل الى صورة مكتملة الملامح وهذا ما نرومه في بحثنا هذا الذي يحاول أن يستخلص من المقامات شيئاً عن عادات طبقة العامة في المجتمع العباسي.

صور العادات والتقاليد في مقامات بديع الزمان الهمذاني

يبدو أن الأدب يستطيع الى حد ما أن يصور لنا جانباً أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية التي ينشأ في ظلها، ويختلف وضوح هذه الصورة وصدقها باختلاف الظروف والأحوال، ونرى أنه كلما كان الأدب أبعد عن قصور الملوك وتصوير حياتهم، وأقرب الى الشعب وتصوير حياته، كان ابعد عن الكذب والرياء وأقرب الى الصدق والواقع. وأدب بديع الزمان الهمذاني صور لنا حياة العامة بعيداً عن قصور الخلفاء والأمراء، حيث نرى الهمذاني في مقاماته قدم لنا صورة عن مجتمعه تكاد تكون متكاملة؛ إذ يحدثنا عن مجالس العلم والأدب وما يدور فيها من مساجلات ومناظرات ومجالس الشراب والطرب وما يدور فيها من أقداح وآلات[(1)]، وتحدث عن عادات وتقاليد[(2)] مجتمع العصر العباسي، ومن ذلك:

أصناف الاصدقاء

ذكر بديع الزمان الهمذاني أن من عادات أبناء ذلك العصر أن يتخذ الإنسان صنفين من الأصدقاء، صنفاً صادقاً بصداقته ومودته وإخلاصه، يدخره للملمات والشدائد، ويعتمد عليه في أشد الأزمات وأصعب الأمور، وصنفاً آخر يتخذه لصداقة اللهو والشراب، وقضاء الأوقات والتمتع بالملذات[(3)]، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام حيث قال: "اتفقَ لي في عنفوانِ الشبيبة خلقٌ سجيح ورأي صحيح، فعدلتُ ميزان عقلي، وعدلتُ بين جدي وهزلي، واتخذتُ إخواناً للملمات وآخرين للملاذات، وجعلتُ النهار للنّاس، والليل للكاس"[(4)].

الحلف بالطلاق

ومن العادات الاجتماعية التي رصدت في ذلك العصر أن الإنسان إذا أراد تأكيد أمر معين لا رجعة عنه، يقوم بالحلف

* كلية المعلمين، تبوك، المملكة العربية السعودية. تاريخ استلام البحث 2004/9/7، وتاريخ قبوله 2005/4/5.

بالطلاق من زوجته وعتق جواريه وغلمانه، لكي يكون لزاماً عليه أن ينفذ ما حلف عليه لأنه إذا عاد تترتب عليه أمور شرعية، إما بالعدة أو بالطلاق البائن، وتترتب عليه خسارة مادية تجبره على عتق الغلمان والجواري، جاء ذلك على لسان الصيمري، عندما عاد إلى دار السلام بغنى بعد فقر وجاه بعد ذل وأراد أن يوقع بأصدقائه الذين تنكروا له وقت الفقر والشدة، فدعاهم لمأدبة قدم فيها أصناف الطعام والشراب والبخور وغناء المغنيات الى ان فقدوا عقولهم، لكثرة شربهم للخمر، فحلق لحاهم وبعث بهم محمولين الى منازلهم، فلما أفاقوا من سكرهم وشاع بين العامة والخاصة ما جرى لهم بسبب سوء تصرفهم مع صديقهم وقت فقره وحاجته[5] وحلف بعضهم بالطلاق ثلاثاً وبعتق غلمانه وجواريه انه لا يكلمني من رأسه أبداً.

التصدق بالطعام الذي تعافه النفس

ومن العادات التي رصدت التصدق بالطعام الذي تعافه النفس أو الذي يتعلق به حكم شرعي، مثل النجاسة وما شابه، جاء ذلك في قصة تجارة عيسى بن هشام الى أرمينية وما أصابه وأصحابه من قطع الطريق والاستيلاء على أموالهم، الى أن فقدوا كل شيء، مما ألجأهم الى طلب الطعام من القرى التي يمرون بها[6]، فذكر ابن هشام انه والاسكندري وصلا قرية، فاستطعموا أهلها فبادر من بين الجماعة فتى الى منزله، فجاءهم بصفيحة مملوءة لبناً فأخذوا باحتسائه لشدة جوعهم، الى أن فرغت، فسألوا تلك الجماعة الخبز ليسدوا رمقهم، فأبوا إلا بالثمن، هنالك يجد الإسكندري غرابة في تصرف أهل تلك البلدة ويتساءل قائلاً: مالكم تجودون باللبن، وهو أكثر ثمناً، وتمنعون الخبز الذي لا يكاد يخلو منه بيت، وتطلبون له ثمناً؟

فأجابه الغلام ان سبب التصدق باللبن ليس كرماً وسخاء وإنما هنالك سبب هو ان تلك القصعة قد سقطت فيها فأرة، فيتصدقون بها على السيارة من أهل القوافل والغرباء والسؤل[7].

مدح الزوجة

ومن العادات التي رصدت لذلك العصر أنه لا حرج ولا عار في أن يقوم الرجل بمدح زوجته والثناء عليها أمام الغرباء، جاء ذلك على لسان صاحب المضيرة، عندما أخذ يثني على زوجته وانه لشدة حبه لها يفديها بمهجته، وأخذ يصف تفننها في إتقان أعمالها في البيت، حيث التأنق في إعداد المأكولات الشهية، ثم أخذ يصف حركتها في المطبخ عند إعداد الطعام، وهي تلبس الخرقة في وسطها، وتدور لإنجاز أعمالها من التنور الى القدور، حيث تقوم بالنفخ في النار، ودق الأبزار اللازمة لإعداد الطعام، ثم أخذ يصف صورة زوجته، حيث الجمال والبهاء وزادها جمالاً منظر الدخان، وقد أثر في ذلك الوجه الجميل، وأنه يعشقها لأنها تعشقه، ثم أوضح أن من علامات السعادة للمرء أن يرزق الطاعة والمساعدة من زوجته وأن يسعد بها وتسعد به[8].

زواج الأقارب

ويبدو أن هنالك بعض العادات التي توارثتها الأجيال من العصر الجاهلي الى العصر العباسي، وهي تفضيل الزواج من ابنة العم، فذلك من علامات السعادة لأن زوجته من طينته ولحمته ولأنه يعرف تصرفاتها وأخلاقها قبل الزواج، بعكس المرأة الغريبة عنه التي قد لا يعرف عنها شيئاً، جاء ذلك على لسان صاحب المضيرة، حيث قال: "ومن سعادةِ المرء أن يرزق المساعدة من حليلته وأن يسعد بظعينته ولا سيما إذا كانت من طينته، وهي ابنة عمي طينتها طينتي ومدينتها مدينتي، وعمومتها عمومتي، وأرومتها أرومتي"[9].

ورصد لنا الهمذاني عادة تعارف عليها الناس، وهي التحذير من خضراء الدمن[10]، لأن الزواج بها يؤدي بصاحبه الى الذل والعار والفقر وقلة ذات اليد، لأن المرأة إذا لم تكن قد ربيت ونُشئت في بيت أصيل لا يهمها الا المظاهر وإشباع رغباتها، بغير تفكير في العواقب، ولا ننسى العادات والتقاليد التي تعارف عليها المجتمع، وهي السؤال عن والدة المخطوبة قبل الزواج بها، فإذا عرف الخاطب أن والدتها من خضراء الدمن فانه سيحجم عن الزواج بها.

وهذا ما أشار إليه الهمذاني على لسان الإسكندري عندما التقى به عيسى بن هشام، وظهر على الإسكندري تبدل أحواله التي عرف بها، وأثر الفاقة والحرمان وجور الأيام، والتفكير في مستقبل الأيام، فسأله عن ذلك، فقال[11]:

"نكحتُ خضراء دمنة وشقيتُ منها بابنة، فأنا منها في محنة، وقد أكلتْ حريبتي وأراقت ماء شبيبتي"[12].

وسائل التسلية والترفيه للأطفال

ومن العادات التي رصدها الهمذاني وسائل التسلية والترفيه عند الأطفال من أبناء البادية في ذلك العصر، منها اللعب بالتراب مع الأتراب، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عندما اتهم بمال أصابه، فخرج الى البادية هارباً، فأدته الهيمة الى ظل خيمة، فصادف عند أطنابها فتى يلعب بالتراب مع الأتراب، وينشد شعراً يقتضيه حاله، ولا يقتضيه ارتجاله[13].

ومن الألعاب التي ذكرها لعبة الخذروفة[14]، وهي لعبة يتخذها الصبيان تشبه الخيل عند شدة عدوها وسرعة جريانها، وقيل شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي، جاء ذلك على لسان أبي الفتح الإسكندري عندما شاهده عيسى بن هشام واعظاً في أذربيجان، فيخاطبه قائلاً:

أنـا جوالـ ـ ـةُ البلاد
وجوابـ ـ ـة الأفق
أنا خذروفـة الزمـان
وعمـ ـارة الطرق
لا تلمني لك الرشـاد
على كديتي وذق.[15]

ومن ألعاب الصبيان التي رصدها الهمذاني لعبة المخاريق، وهي الخرق المفتولة التي يلعب بها الصبيان، جاء ذلك على لسان الإسكندري عندما التقى به عيسى بن هشام على شط نهر دجلة في بغداد ودار بينهما الحديث عن الشعر والألغاز الشعرية، ثم أخذ الإسكندري يفسر ألغازه الى أن قال: وأما البيت الذي يعظم وعيده ويصغر خطبه فمثاله قول عمرو بن كلثوم:

كأن سيوفنا منّا ومنهـم
مخاريقٌ بأيدي لاعبينا.[16]

وسائل التسلية والترفيه للكبار

ومن ألعاب الكبار التي رصدها بديع الزمان الهمذاني لعبة الشطرنج التي تدل على الذكاء والفطنة، وتعلم صاحبها الانتباه والحرص وعدم التفريط، وجاء ذكر هذه اللعبة على لسان أبي الفتح الإسكندري عندما جهز ولده للتجارة، ثم أخذ يوصيه بالحرص على أموال التجارة وعدم إضاعتها وإنفاقها، بل الحفاظ عليها وتنميتها، ليحصل له التوفيق بجمع الأموال وزيادتها، فأوصاه بعدم الكرم لأنه يتلف الأموال، وأوصاه بالإنفاق اليسير من الربح، وعدم التمتع بالشهوات والإنفاق عليها، والأكل على الجوع، وطلب منه أن يكون مع الناس مثل لاعب الشطرنج يأخذ كل ما معهم ويحفظ كل ما معه[17]. وهناك لعبة أخرى أشار إليها الهمذاني وهي لعبة النرد، جاء ذلك على لسان صاحب المضيرة عند حديثه عن الدار التي يسكنها وكيف حصلها، حيث كانت لجار له يكنى أبا سليمان، وله من المال الشيء الكثير، فمات صاحبها وخلف ولداً أتلف ذلك المال الكثير، بين شرب الخمر واللعب بالنرد والقمار، الى أن اضطر أخيراً الى عرض الدار للبيع، وذلك بسبب فسقه وفجوره وانشغاله بالملذات، فجاء صاحب المضيرة واشتراها منه بثمن بخس[18].

الخروج للنزهة

ومن العادات التي رصدها الهمذاني تنزه أهل ذلك العصر في العديد من الأماكن، منها خروج الناس الى شاطئ دجلة للترفيه عن أنفسهم، وأن بعض الناس كانوا يقومون ببعض الفعاليات كما هو الحال بالنسبة للقراد الذي يجتمع الناس عنده للترفيه والضحك، كما جاء على لسان عيسى بن هشام حيث قال:

"بينما أنا بمدينة السلام، قافلاً من البيت الحرام، أميس ميس الرجلة، على شاطئ الدجلة، أتأمل تلك الطرائف وأتقصى تلك الزخارف إذ انتهيت الى حلقة رجالٍ مزدحمين يلوي الطرب أعناقهم، ويشقُ الضحك أشداقهم لشدة الحرص الى ما ساقهم، حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدة الهجمةِ وفرط الزحمة، فإذا هو قراد يرقص قرده ويضحك من عنده..."[19].

البحث عن الكنوز القديمة

ومن العادات التي رصِدت البحثُ عن الكنوز القديمة، والسفر لطلبها المسافات الطويلة، ومكابدة التعب والمشقة من أجل الحصول عليها والاهتداء لها، وإنفاق الأموال من أجل الوصول الى معلومة عن مثل تلك الكنوز وأماكن وجودها، وذلك لاعتقادهم بوجود كنوز الأمم السابقة في باطن الأرض، وتحتاج إلى دليل للكشف عنها، جاء ذلك على لسان الإسكندري عندما حضر مجلساً ضم عيسى بن هشام وبعضاً من رفاقه، فأخذوا يتناولون أطراف الأحاديث، إلى أن جاءوا على ذكر الغنى وفضله، وما يحقق للإنسان من مكاسب مادية ومعنوية، هنالك وجد الإسكندري فرصة مواتية للتدخل واقتناص الفرص، للحصول على المال، بسبب ولع الحضور بجمع المال، فقام قائلاً: إنني أخالفكم فيما تذهبون إليه من أهمية المال وفضله، لأنني أرى أن زينة الرجال ليس بكثرة المال والعقار وأعراض الدنيا ومتاعها الزائل، وإنما يكون بالنسب الشريف والعلم الواسع، ولولا أنني أصون نفسي وعرضي لكنت أغنى من في الوجود، لأنني أعرف مكانين للكنوز العظيمة أحدهما بأرض طرطوس[20]، وهذا الكنز يعود إلى العمالقة[21]، وخبايا البطارقة، فيه مائة ألف مثقال من الذهب، وأما الآخر فهو ما بين سورا[22] والجامعين[23] فيه ما يكفي أهل الثقلين، يعود هذا الكنز إلى الأكاسرة[24] والجبابرة وأكثر هذا الكنز ياقوت أحمر وجوهر وتيجان مرصعة وبدر مجمعة[25].

ويبدو أن البحث عن الكنوز يعرض صاحبه لمخاطر كثيرة، منها الخوف من السلطان والخوف من غدر الرفاق

الذين يبحثون عن الكنوز إذا وجدوا شيئاً منها، لذلك عندما وجهوا اللوم لقنوع الإسكندري باليسير من المال، مع معرفته لأماكن كنوز عظيمة، أشار الإسكندري الى أن سبب رضاه بالقليل هو الفزع من السلطان، وأنه لا يثق بأحد من الإخوان للبحث عن الكنوز[26].

ويبدو أن البحث عن الكنوز كان يوقع بعض الناس في شباك المحتالين والدجالين والمشعوذين الذين يدعون قدراتهم على معرفة أماكن الكنوز، فيحتالون على المتلهفين بمعرفة أماكن الكنوز بأخذ أموالهم، ومن ثم الاختفاء عن الأنظار.

جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عندما طلب وأصحابه من الإسكندري أن يدلهم على أماكن الكنوز التي أخبرهم عنها على أن له الثلثين مما يستخرجونه من الأرض، هنالك وجد الإسكندري فرصته للاحتيال عليهم وأخذ بعض أموالهم، حينما أمال إليهم يده وخاطبهم ان من قدم شيئاً وجده، ومن عرف أماكن تلك الثروة العظيمة يهون عليه ان يعطي بعضاً من ماله، موهما إياهم أنه لا يثق بمن يبحث عن الكنوز من أن يغدر ويأخذ كل الكنوز، فلهذا طلب منهم أن يمنحوه بعض الأموال مقدماً، قبل أن يخبرهم عن أماكن وجود تلك الدرر والجواهر والتيجان، فانطلت عليهم حيلة الإسكندري وأعطوه من أموالهم ما حضر، طمعاً في الثروة العظيمة، فلما نقدوه احتال للهرب بتلك الأموال محتجا أن لابد من أن يقضي بعض الحاجات الضرورية بشيء من تلك الأموال المعطاة، ويشتري بعض الطعام، وقد ضاق الوقت في هذه اللحظات، والموعد للقائهم في الغد، ثم فارق الجماعة على أمل لقائهم، ومضى فتبعه عيسى بن هشام[27] ، فلما تعرف إليه قال:

أنـ ـا جبـ ـار الزمـ ـان
لـ ـي فـ ـي السـ ـخفِ معـ ـاني
وأنـ ـا المنفـ ـقُ بعـ ـد الـ ـ
مـ ـال مـ ـن كـ ـيس الأمـ ـاني
مـ ـن أراد القصـ ـفَ والغـ ـر
فَ علـ ـى عـ ـزفِ المثـ ـاني
واصطفى المردان جـ ـهلاً
مـ ـن فـ ـلانٍ وفـ ـ ـلان
صـ ـار مـ ـن مـ ـال وإقبـ ـا
لٍ تـ ـراه فـ ـي أمـ ـان[28]

تجهيز الميت وتكفينه

ورصد لنا الهمذاني عادات أبناء ذلك العصر وتقاليدهم في تجهيز الميت وتكفينه، وما يرافق ذلك من بدع وعادات جاهلية، من الصياح على الميت وندبه، وخروج النساء كاشفات الشعور، يضربن الصدور، ويلطمن الخدود، وينحن بأصوات حزينة، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عندما حدث عن عودته من الموصل وقد اشتاقت نفسه للترويح عما بها من عناء السفر ومشقته، فخرج ومعه الإسكندري إلى بعض قراها طلبا للرياضة النفسية، والترويح عما أصابه من الهم والغم بسبب السفر ومشقة الحياة، لأنه شعر أن جسمه قد أصابه الهلاك، فلما وصلا إلى إحدى القرى النائية خاطب الإسكندري صاحب حيل غريبة عجيبة، بل يختلق الحيل المضحكة والمبكية إذا أراد ذلك، فأجابه الإسكندري: يكفي ا . فسارا في تلك القرية إلى أن شاهدا دارا قد مات صاحبها وقامت نساؤها بالندب والصياح والعويل على فقد عماد البيت، وهن قد شققن الجيوب ونثرن الشعور يضربن صدورهن ويلطمن خدودهن، هنالك وجد الإسكندري فرصته ليدخل إلى تلك الدار ويدعي أن صاحبها لم يمت، وإنما عرته وعكة ونزلت به غمةٌ، حيث قال عيسى بن هشام: ودفعنا إلى دار قد مات صاحبها، وقامت نوادبها، واحتفلت بقوم قد كوى الجزع قلوبهم، وشقت الفجيعة جيوبهم، ونساء قد نشرن شعورهن يضربن صدورهن، وشددن عقودهن، يلطمن خدودهن، فقال الإسكندري : لنا في هذا السواد نخلة، وفي هذا القطيع سخلة، ودخل الدار لينظر إلى الميت وقد شدت عصابته لينقل، وسخن ماؤه ليغسل، وهيئ تابوته ليحمل، وخيطت أثوابه ليكفن، وحفرت حفرته ليدفن، فلما رآه الإسكندري أخذ حلقه، فجس عرقه، فقال: يا قوم اتقوا ا لا تدفنوه وهو حي، وإنما عرته بهتة، وعلته سكتة، وأنا أسلمه مفتوح العينين بعد يومين[29].

وذكر الهمذاني أن من عاداتهم في الحزن على ميتهم تمزيق الثياب، وهذا الأمر لا يقتصر على النساء فقط، بل يفعله الرجال كذلك، حزنا على أقربائهم وأصحابهم، جاء ذلك على لسان الإسكندري عندما أراد أن يحتال على أحد أبناء القرى في بغداد، عندما التقى به، وادعى معرفته لوالد ذلك القروي، عندما سأله: كيف حال أبيك؟ أغزاه الشيب كحالي؟ فأجابه القروي ان الذي يسأل عنه قد توفاه ا أرجو أن يصيره ا إلى جنته، فقال الإسكندري إنا وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا با العلي العظيم، ثم مد يده إلى صدره يريد تمزيق ثيابه حزناً على موت صديقه، فقبض القروي على يده وناشده ا الا يمزق ثيابه[30]، ثم رصد لنا الهمذاني عاداتهم في تكفين الميت وتجهيزه للدفن بقوله: "ودخل الدار لينظر إلى الميت وقد شُدت عصابتُه لينقل،

وسخن ماؤه ليغسل، وهيئ تابوته ليحمل، وخيطت أثوابه ليكفن، وحفرت حفرته ليدفن"[31].

احترام الرجل لمظهره أو لماله أو لعلمه

ومن العادات والتقاليد التي رصدها لنا بديع الزمان الهمذاني أن يحترَم الرجل لمظهره وزيه، أو لماله وما يملك من أطيان وعقار وثروة أو ما يتمتع به من علامات أهل النعمة، كرائحة العطور الزكية، وأن يعرف من قبل أهل المجلس فإنهم يقومون إعظاما له وإكراما لقدره، ويجلسونه في صدر المجلس كما جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام، عندما كان في أحد مجالس والي سارية[32]؛ إذ دخل عليه فتى تنطلق منه الروائح الزكية، وتظهر أثر ألوان تلك الروائح والعطور على ثيابه، فانتفض المجلس لحضوره، وأجلس في صدر المجلس إعظاماً له[33].

وقد يحترم الرجل ويجلس في صدر المجلس لعلمه أو لجاهه أو مكانته الرفيعة بين قومه، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عندما قال: "وليتُ بعض الولايات من بلاد الشام ووردها سعد بن بدر وقد ولي الوزارة، وورد اليه كثير من أهل الجاه والمناصب ووجوه الكتاب، وخيرتهم، وورد إلى مجلسه أبو الندى التميمي فكل القلوب توجهت له وأحبته، وفي يوم من الأيام جاء أبو الندى إلى مجلس عيسى بن هشام فاحتفى به احتفاء يليق بمقامه وأجلسه في صدر مجلسه"[34].

ومن العادات التي رصدت ازدراء الفقر والفقراء، وبخاصة إذا ظهرت علامات الفقر والحاجة على لباس الشخص أو الهيئة أو وظيفته، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عند عودته من اليمن، ورافقه في سفره أحد الرجال الفصحاء، فكان خير الأوقات وأحلى الجلسات التي تمتع بها عيسى بن هشام، بسبب سعة اطلاع رفيقه ودماثة خلقه واغترافه الكثير من علوم ذلك العصر، وبعد انقضاء السفر افترقا، وتمنى عيسى بن هشام أن يرى رفيقه مرة أخرى، لينعم بفصاحته وحلاوة منطقه وعذوبة لسانه، فبينما هو يوما في حجرته، دخل عليه كهل قد غير الفقر في وجهه، وزيه يدل على الحاجة والعوز والفقر والعيش المر، فازدرته عين عيسى بن هشام لرثاثة حاله، وتبين أن ذلك الرجل هو رفيقه في السفر[35].

الكدية

من العادات التي رصدت انتشار عادة الكدية بين أبناء طبقة العامة في ذلك العصر، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن المجتمع الذي عاش فيه بديع الزمان الهمذاني هو مجتمع النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حيث رسم لنا التاريخ عن تلك الفترة من الزمن صورة ممتلئة بالفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار وذلك بسبب انفصال بعض الولايات عن جسم الدولة العباسية واستيلاء بني بويه على مقاليد الحكم في بغداد عاصمة الخلافة، وضعف الخلفاء حيث لم يبق للخلفاء في الواقع إلا المظاهر كضرب العملة والخطبة، وفي ظل هذه الظروف برزت طبقة من الأثرياء الحكام تستمتع بلذائذ الحياة، تستنفد من أموال الخراج ما تشاء، وإذا شاءت صادرت ما عند الطبقات الدنيا من عقار أو مال والى جانبها طبقة أخرى تعاني الفقر فغرقت البلاد في الفوضى، وما عرفت بغداد عاصمة الخلافة أسوأ من تلك الفترة ولا أكثر فساداً أو انحلالاً[36].

فتصدى بديع الزمان الهمذاني لوصف ذلك، فذكر أن من أساليب الكدية قرع الأبواب ليلاً لطلب الطعام والمساعدة على جور الأيام، من ذلك ما جاء على لسان عيسى بن هشام عندما كان في ليلة من الليالي يجتمع مع أصحابه في جلسة أدبية، يتذاكرون الفصاحة وأهلها، ويتجاذبون أطراف الأحاديث حول الأدب والأدباء، وإذا برجل يقرع الباب، فقالوا: من الطارق في هذا الوقت من الليل؟ فأجابهم بكلمات تدل على الفصاحة والبيان، انه رجل لا يطلب غير سد الرمق، والإبقاء على الحياة، لأنه جاء من مسافات بعيدة، يطلب العون والمساعدة، فهل من رجل كريم يقوم بضيافتي وسد رمقي؟ فقاموا وفتحوا الباب، وأناخوا راحلته، واستقبلوه بالبشر والكلام الهادئ الذي يدل على قبولهم لطلبه، ثم قدموا له الطعام حتى شبع، وحادثوه حتى أنس[37].

وغالباً ما يذكر الفقير حاجته الماسة للطعام على وجه السرعة، لسد الرمق، ومن ثم يقوم بطلب المساعدة لابنائه بعد أن يشرح حاله، وكيف آلت به الأيام الى الحاجة وغدر الدهر، بعد أن كان من أصحاب الثروة، مثال ذلك ما جاء على لسان عيسى بن هشام عندما وصل مع أصدقائه الى الكوفة، ونزلوا بيت أحد أصدقائهم، ولما غشيهم الليل قال: "قُرع علينا الباب، فقلنا: من القارع المنتاب؟ فقال: وفد الليل وبريده وفل الجوع وطريده، وحر قاده الضر، والزمن المر، وضيفٌ وطؤه خفيفٌ، وضالته رغيفٌ، وجار يستعدي على الجوع، والجيب المرقوع، وغريب أوقدت النار على سفره، ونبح العواء على أثره، ونُبذت خلفه الحصياتُ، وكُنست بعده العرصاتُ فنضوه طليح، وعيشه تبريح، ومن دون فرخيه مهامه فيح"[38]، وأشار الهمذاني في أكثر من موضع من مقاماته الى انتشار عادة التسول بين أبناء المجتمع بسبب الفقر والحاجة، ففي المقامة المجاعية يقول: "كنت ببغداد عام

مجاعة، فملت الى جماعة، قد ضمهم سمطُ الثريا أطلب منهم شيئاً، ثم يلتقي بغلام فيقول له: حالان لا يفلح صاحبهما: فقير كده الجوع، وغريب لا يمكنه الرجوع الى أهله، فقال الغلام: أي الثلمتين نقدم؟ قال: الجوع فقد بلغ مني مبلغاً، ثم يصف الغلام لعيسى بن هشام ثلاثة أشياء الطعام والشراب ومجلساً مريحاً، قال عيسى بن هشام: قلت أنا عبد الثلاثة، فقال الغلام: وأنا خادمها لو كانت، فقلتُ: لا حياك ا ، أحييتَ شهوات قد كان اليأس أماتها، ثم قُبضت لهاتها، فمن أي الخرابات أنت؟

فقال:

أنـا من ذوي الإسكندريـة

من نبعـة فيهـم زكيـ ـه

سخف الزمـان وأهلـ ـه

فركبت من سخفي مطيـة.[39]

ويحدثنا الهمذاني في المقامة الازاذية عن انتشار عادة التسول بطرق كثيرة للحصول على المال، حيث قال: "حدثنا عيسى بن هشام قال: أخذت عيناي رجلاً قد لف رأسه ببرقع حياء، ونصب جسده، وبسط يده، واحتضن عياله، وتأبط أطفاله، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره والحرض في ظهره:

ويلي على كفين من سويق

أو شحمـة تُضرب بالدقيـ ـق

أو قصعة تُملأ من خرديق

يفثـأُ عنّـا سطوات الريـ ـق

يقيمنا عن منهج الطريق

يـا رازق الثروة بعد الضيـق

سهل على كف فتى لبيق

ذي نسبٍ في مجـ ـده عريـق

يهدي إلينا قدم التوفيق

ينقذُ عيشي من يد الترّنيق.[40]

وفي المقامة العراقية يصف الهمذاني حالة انتشار عادة التسول حتى بين فئة الشباب، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام حيث قال: "طفتُ الآفاقَ، حتى بلغتُ العراق وتصفحتُ دواوين الشعراء حتى ظننتني لم أبق في القوس منزع ظفرٍ وأحلتني بغداد فبينما أنا على الشط إذ عن لي فتى في أطمار يسأل الناس ويحرمونه فأعجبتني فصاحته، فقمتُ إليهِ أسأله عن أصلهِ ودارهِ، فقالَ: أنا عبسي الأصل إسكندري الدارِ، فقلتُ: ما هذا اللسان؟ ومن أين هذا البيان؟ فقال: من العلمِ رضتُ صعابه، وخُضتُ بحاره، فقلتُ: بأي العلومِ تتحلى؟ فقال: لي في كلّ كنانة سهم، فأيها تُحسن...؟"[41].

ومن الفقراء من قام بعمل قراد يرقص قرده ليضحك الناس ويمدوه بأموالهم لسد رمق العيش، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام عندما كان بمدينة السلام، بعد أن أدى فريضة الحج، خرج إلى شاطئ دجلة وإذا بجمع من الناس مزدحمين، ويضحكون بصوت مرتفع، يدل على أن هنالك شيئاً غريباً عجيباً، فاقترب منهم عيسى بن هشام إلى أن دخل بين الجموع، فإذا هو قراد يرقص قرده ويضحك من عنده فما زال عيسى يقترب من القراد، وإذا به الإسكندري، فقال له: ما هذه الدناءة؟ ويحك! فأنشأ الإسكندري يقول:

الذّنب للأيـام لا لـ ـي

فاعتب على صرفِ اللّيالـي

بالحمق أدركتُ المنـى

ورفلت في حال الجمـال[42]

ومن العادات التي رصدها بديع الزمان الهمذاني دخول الحمامات العامة في المدن والأماكن العامة وأن في هذه الحمامات عمالا يقومون بخدمة نزلائها، من ذلك الأعضاء، ووضع الطين على بعضها، اعتقادا منهم أن ذلك يريح الأعضاء وينشطها، ويقوم هؤلاء العمال بتأمين كل ما يلزم لراحة النزلاء، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام حين عاد من أداء فريضة الحج، وشعر أنه بحاجة لدخول الحمام وحلق الرأس، وعمل الحجامة، فطلب من غلامه أن يذهب ويبحث عن حمام نظيف البقعة واسع الرقعة، طيب الهواء، معتدل الماء مما يدل على الانتشار الواسع لوجود الحمامات في دار السلام، الذي جعل عيسى بن هشام يطلب من غلامه أن يختار حماما، بمواصفات معينة، واستطاع الغلام أن يجد الحمام حسب المواصفات المطلوبة، فعاد إلى سيده وأخبره أنه قد وجد حماما بتلك المواصفات التي طلبها، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام حيث قال: "لما قفلت من الحج فيمن قفل، ونزلت مع من نزل، قلت لغلامي: أجد شعري طويلاً، وقد اتسخ بدني قليلاً، فاختر لنا حماماً ندخله، وحجاماً نستعمله، وليكن الحمام واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء، معتدل الماء، وليكن الحجام خفيف اليد، حديد الموسى، نظيف الثياب، قليل الفضول، فخرج ملياً، وعاد بطياً، وقال: قد اخترته كما رسمت، فأخذنا إلى الحمام السمت"[43].

الحجامة

ومن العادات التي رصدت كذلك العلاج بالحجامة، وكان هذا العلاج موجودا في دار السلام، وذلك لان له أصلا

شرعيا[44] يدل على أن فيه راحة للجسم وشفاء من بعض الأمراض مما جعل عيسى بن هشام يطلب من غلامه أن يبحث له عن حجام بمواصفات معينة، منها أن يكون خفيف اليد، يقوم بعمله بخفة ورشاقة، لا ألم عند الحجامة، مما يدل على مهارة الحجام في عمله، وأن يكون حديد الموسى ليريح الجسم في أثناء عملية الحجامة، ويضمن أن لا مضاعفات لتلك العملية العلاجية، ومن المواصفات التي طلبها عيسى بن هشام في الحجام أن يكون نظيف الثياب، ليضمن عدم نقل العدوى من مريض إلى إنسان سليم، وذلك لأن في اتساخ الثياب مخاطر وخيمة، وبخاصة فصد الدم وخروجه، وتعرض الجسم للجرح، ومن شروطه في الحجام أن يكون قليل الفضول والتدخل في شؤون الآخرين، بكثرة اسئلته[45].

ورصد الهمذاني العادات عند غضب العامة، والأساليب التي يتصرف بها أبناء المجتمع لتأديب المذنبين والخارجين على العادات في ذلك المجتمع، جاء ذلك على لسان الإسكندري، عندما دعي لأكل المضيرة، ولكن الداعي له أطال عليه في الكلام إطالة مملة، جعلته يعاف الضيافة والمضيرة، وأي طعام يقدم له، وبخاصة ان المضيف أطال في الكلام عن وصف الدار ثم الزوجة ثم الإبريق والغلام إلى أن وجد الإسكندري أن كلام المضيف لن ينتهي، ففكر بالخلاص من تلك الدعوة، إلى أن وجد فرصة للهرب فخرج مهرولا، فتبعه صاحب البيت وهو ينادي: المضيرة المضيرة، فظن الصبيان والمارة أن المضيرة لقب للهارب، فأخذوا يصيحون: المضيرة المضيرة، ولشدة ضجره من تلك الأصوات ضرب حجرا فغاص في رأس أحد المارة، فاجتمع أهل الحي وضربوه بالنعال، وصفعوه بالأيدي ما طاب وخبث وأخذ إلى الحبس فأقام عامين جزاء به فنذر الإسكندري أن لا يأكل المضيرة ما عاش، جاء ذلك على لسان عيسى بن هشام حيث قال: "وخرجت نحو الباب، وأسرعت في الذهاب، وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيح: يا أبا الفتح المضيرة، وظن الصبيان أن المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه، فرميت أحدهم بحجر، من فرط الضجر، فلقي رجل الحجر بعمامته فغاص في هامته، فأخذت من النعال بما قدم وحدث، ومن الصفع بما طاب وخبث، وحشرت إلى الحبس، فأتممت عامين في ذلك النحس، فنذرت أن لا آكل مضيرة ما عشت"[46].

ويبدو أن الضرب بالأحذية والأكف ظاهرة عامة عند غضب العامة، حيث تكرر ذكر هذا الأمر في مقامات الهمذاني، وذلك عندما دخل عيسى بن هشام و الإسكندري داراً قد مات صاحبها، وقامت نوادبها يضربن صدورهن، فاقترب الإسكندري من الميت وقال: "إنه حي لا تدفنوه، وهنالك علامات تدل على أنه حي وإنني أسلمكم إياه حياً بعد يومين، ثم علق عليه التمائم وشد العمائم على جسده وقال أقيموه، وعند الموعد المضروب لهم لاستلام ميتهم قد نشر، خاب ظن الإسكندري عندما طلب منهم أن يقيموا الميت على رجليه فأقيم ثم قال خلوا عن يديه فسقط رأسا وطن الإسكندري بفيه وقال: هو ميت، كيف أحييه؟ فأخذه الناس بالضرب بالأحذية والأيدي، وصار إذا رفعت عنه يد وقعت فيه أخرى"[47].

ونقل لنا الهمذاني صورة أخرى لغضب العامة على لسان عيسى بن هشام عندما اجتمع مع أقرانه لشرب الخمر، في ليلة مملوءة باللهو والغناء والشرب، إلى أن نادى منادي الفجر، فتداعوا في المسجد، أن من ابتلى بشرب الخمر والنجاسة فليجلس في بيته ولا ينشر تلك الرائحة الخبيثة في المساجد، لأنه يشتم تلك الرائحة الخبيثة من أم الكبائر من بعض الناس، ثم أشار إلى عيسى بن هشام وأصحابه، فتألب المصلون عليهم حتى مزقوا أرديتهم وأدموا أقفيتهم، حتى أقسم عيسى بن هشام ورفاقه أن لا يعودوا إلى مثل هذا العمل المنكر[48].

ومن الأمور التي رصدها الهمذاني ألفاظ السب والشتم والذم، وذلك عندما نذر عيسى بن هشام أن يتصدق بدينار لوجه ا تعالى على أشحذ رجل ببغداد، فسأل الناس، فدل على أبي الفتح الإسكندري، فمضى إليه، فوجده مع رفقة له قد اجتمعت عليه في حلقة من حلقات بني ساسان، فقال لهم:أيكم أعرف بسلعته وأشحذ في صنعته؟ فإنني سأعطيه هذا الدينار. فبرز الإسكندري متحدياً لامتلاكه تلك الصفات، وقام آخر وقال لا بل أنا أشحذ منك. ثم تناقشا، فطلب منهما عيسى ابن هشام أن يشتم كل منهما صاحبه، فإن من يغلب سيأخذ الدينار الموعود، فقام الإسكندري شاتماً زميله أنه يشبه في برودته أيام العجوز، وهي سبعة أيام، أربعة في آخر شباط، وثلاثة في أول آذار، ثم وصفه بالكربة الشديدة، مثل أيام تموز في حرارتها وشدتها، ثم وصفه بالصدأ، والدرهم الرديء الذي لا يقبله البائع، الى أن قال: "يا حديث المغنين يا سنة البؤس، يا كوكب النحوس، يا وطأ الكابوس، يا تخمةَ الرؤوس... يا بريد الشؤم يا طريد اللؤم، يا ثريد الثوم يا بادية الزقوم يا منع الماعون..."[49].

فأجابه الآخر: "يا قراد القرود يا لبود اليهود، يا نكهة الأسود، يا عدماً في وجود، يا كلباً في الهراش، يا قرداً في الفراش، يا قرعية بماش، يا أقل من لاش يا دخان النفط يا صنان الابط، يا أخبث ممن باء بذل الطلاق، ومنع الصداق، يا وحلَ الطريق... يا وسخَ الآذان، يا أجر من قلس، يا أقل

من فلسٍ، يا أفضح من عبرة، يا أبغى من إبرة، يا مهب الخفّ يا مدرجة الأكفّ، يا كلمة ليت..."[50].

وقد رصد الهمذاني احتقار المجتمع لبعض المهن والعاملين فيها، منها مهنة الحلاج، جاء ذلك على لسان الإسكندري عندما بدأ يشتمه صاحبه لكي يحصل على الجائزة من عيسى بن هشام، فخاطب صاحبه قائلاً: "وا لو وضعت إحدى رجليك على جبل أروند[51]، والأخرى على دنباوند[52]، وأخذت بيدك قوس قزح، وندفت الغيم في جباب الملائكة ما كنت إلا حلاجاً"[53].

ومن المهن التي أشار الهمذاني الى احتقار المجتمع لها والعاملين فيها مهنة الحائك، جاء ذلك على لسان الرجل الذي شتم الإسكندري للحصول على جائزة الدينار بقوله: "وا لو وضعت استَك على النّجوم ودليت رجلك في التّخوم، واتخذت الشعرى خُفّاً والثريا رفاً، وجعلت السماء منوالاً، وحكتَ الهواء سربالاً، فسديته بالنسر الطائر وألحمته بالفُلك الدائر ما كنت الا حائكاً"[54].

ومن المهن المحتقرة في المجتمع، كما أشار الهمذاني، مهنة الحجام، كما جاء على لسان عيسى بن هشام حينما عمل الإسكندري مغنياً في إحدى الحانات، وتعرف عليه عيسى بن هشام، وكان قد رآه إماماً وواعظاً في أحد المساجد فاستغرب لهذا التحول المفاجئ، من إمام وواعظ الى مغنٍ في الحانات التي تقدم الخمور، فخاطبه عيسى بن هشام بقوله: "وا كأنّما انظر إليك ونطق عن لسانك الذي يقول:

كان لي فيما مضى عقلٌ ودين واستقامة
ثم قد بعنـا بحمد ا   فقهـاً بحجامـة
ولئن عشنا قليلاً نسأل ا   السلامـة.[55]

ومن المهن المرذولة التي أشار إليها الهمذاني مهنة سائس القرود وهي صناعة من أحط الصناعات وأرذلها، وحرفة دنيئة خسيسة، جاء ذلك على لسان الرجل الذي أراد شتم الإسكندري لينال الجائزة فأول كلمة خسيسة وصف الإسكندري بها قوله يا قراد القرود[56].

الخاتمـــة

لعله قد بدا واضحاً من هذا العرض الموجز والمكثف لشيء من مقامات بديع الزمان الهمذاني أن هذا الفن ينطوي على قدر كبير من عادات شريحة محددة من المجتمع العباسي، إبان عصر الهمذاني، وآية ذلك أننا استطعنا أن نرصد عدداً من تلك العادات لعل أهمها:

طرق اختيارهم للأصدقاء والزوجة، ووسائل الترفيه عند الصغار والكبار، وولعهم بالبحث عن الكنوز القديمة، وعاداتهم في تجهيز الميت وتكفينه، واهتمامهم بالمظهر الخارجي للرجل، وارتباط الكدية بانتشار الفقر، وكثرة الحمامات العامة وعادات مرتاديها، وما يجري فيها من حلق الرأس والحجامة، وأساليب القدح والشتم الشائعة بينهم ثم أخيراً احتقار بعض أصحاب المهن. ولعل معرفة مثل هذه العادات تكون عوناً للدارسين لاستجلاء صورة أكثر وضوحاً لنسق معين من ذلك المجتمع.

الهوامـش

(1) مبارك، مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، 6، ط2.
(2) ياغي، رأي في المقامات، 52، ط1.
(3) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة الخمرية، 415-416.
(4) المصدر نفسه، المقامة الخمرية، 415-416.
(5) المصدر نفسه، المقامة الصيمرية، 367-373.
(6) المصدر نفسه، المقامة الصيمرية، 373.
(7) المصدر نفسه، المقامة الارمنية، 283-284.
(8) المصدر نفسه، المقامة المضيرية، 124-125.
(9) المصدر نفسه، المقامة المضيرية، 125.
(10) المرأة الجميلة في المنبت السوء.
(11) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة الشيرازية، 231.
(12) المصدر نفسه، الشيرازية، 231.
(13) المصدر نفسه، المقامة الاسودية، 181.
(14) المصدر نفسه، المقامة المكفوفية، 90، المقامة الاذربيجانية، 55. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 269/7. ابن الاخوة القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، 36. أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، 251، ط 2.
(15) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة الاذربيجانية، 55.
(16) المصدر نفسه، المقامة العراقية، 195-196.
(17) المصدر نفسه، المقامة الوصية، 330-332. التنوخي، الفرج بعد الشدة، 312/4. التنوخي، نشوار المحاضرة، 270/2. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 465/2. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، 726/1-727. الجاحظ، الحيوان، 147/4.
(18) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة المضيرية،

131-132. المسعودي، مروج الذهب، 464-465. التنوخي، الفرج بعد الشدة، 216/4. الشابستي، الديارات، 11، 173. الصابي، الهفوات النادرة، 231-234.

(19) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، القردية، 111-112.

(20) بلد بالشام مشرفة على البحر قرب عكا ونسبوا إليها أبا عبد ا الحسين بن محمد بن الحسين الخواص المقرئ الطرطوسي، (ت 626هـ). الحموي، معجم البلدان، 30/4.

(21) الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام.

(22) موضع بالعراق من ارض بابل وهي مدينة السريانيين وقد نسبوا إليها الخمر وهي قريبة من الوقف والحلة المزيدية. الحموي، معجم البلدان، 278/3.

(23) هي حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة، المصدر السابق، 96/2.

(24) هم ملوك الفرس، وكانوا كثيرين، وكل واحد منهم يسمى كسرى، وأشهرهم قباذ وكسرى سابور الذي كان يلقب بذي الأكتاف وكسرى انو شروان الملك العادل الذي يقال ان في عهده ولد رسول ا صلى ا عليه وسلم. عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة المطلبية، 443.

(25) المصدر نفسه، المقامة المطلبية، 442-443.

(26) المصدر نفسه، المقامة المطلبية، 444.

(27) المصدر نفسه، المقامة المطلبية، 444-447.

(28) المصدر نفسه، المقامة المطلبية، 447-448.

(29) المصدر نفسه، المقامة الموصلية، 113-114.

(30) المصدر نفسه، المقامة البغدادية، 70-71.

(31) المصدر نفسه، المقامة الموصلية، 114.

(32) إحدى بلاد طبرستان.

(33) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة السارية، 403.

(34) المصدر نفسه، المقامة التميمية، 412-413. الشريشي، شرح مقامات الحريري البصري، المقامة البغدادية، 41/2.

(35) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة الشيرازية، 229-231.

(36) مبارك، مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، 37-38. عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، 31.

(37) المصدر نفسه، المقامة الناجمية، 285-286.

(38) المصدر نفسه، المقامة الكوفية، 32-33.

(39) المصدر نفسه، المقامة المجاعية، 167.

(40) المصدر نفسه، المقامة الازاذية، 19.

(41) المصدر نفسه، المقامة العراقية، 186-187. ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، 248-249، ط10.

(42) المصدر نفسه، المقامة القردية، 111-112.

(43) المصدر نفسه، المقامة الحلوانية، 232-233. الشريشي، شرح مقامات الحريري، المقامة الرحبية، 181/1. التنوخي، نشوار المحاضرة، 269/8. التنوخي، الفرج بعد الشدة، 33/3. ابن الجوزي، المنتظم، 56/7. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 162/2. المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، 60/1-61.

(44) الشامي، الجامع بين الصحيحين للإمامين البخاري ومسلم، 250/3-251، ط1.

(45) عبد الحميد، شرح مقامات الهمذاني، المقامة الحلوانية، 232-233.

(46) المصدر نفسه، المقامة المضيرية، 143.

(47) المصدر نفسه، المقامة الموصلية، 117.

(48) المصدر نفسه، المقامة الخمرية، 422-423.

(49) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 375-376.

(50) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 376-384.

(51) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 383، جبل نزه اخضر ناظر مطل على همذان، ومعدود من محاسنها.

(52) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 384-388. جبل شهير بناحية الري قال عنه القزويني إنه يناطح النجوم ارتفاعاً ويحكيها امتناعا لا يعلوه الغيم من ارتفاعه والطير في تحليقه وكان فيه بركان يقذف النار ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية.

(53) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 383-384.

(54) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 388.

(55) المصدر نفسه، المقامة الخمرية، 434-435.

(56) المصدر نفسه، المقامة الدينارية، 384.

المصادر والمراجـع

التنوخي، أبو علي، الفرج بعد الشدة، ج4، تحقيق تيمور الشالجي، 1978، بيروت.

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، ج 4، تحقيق عبد السلام هارون، 1969، القاهرة.

الشامي، صالح أحمد، 1995، الجامع بين الصحيحين للإمامين البخاري ومسلم، ج3، ط1، دار القلم، دمشق.

الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن، شرح مقامات الحريري.

ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة.

عبد الحميد، محمد محيي الدين، شرح مقامات الهمذاني.

عوض، يوسف نور، 1979، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ط1، دار القلم، بيروت.

مبارك، زكي، 1981, مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، ط2، دار الفكر، دمشق.

متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد ابو ريدة.

ياغي، عبد الرحمن، 1969، رأي في المقامات، ط1، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت.

Pictures of Habits and Traditions in the Anecdotes (Makamat) of Badiea Al-Zaman Al-Hamathani

*Khaled M. Al-Mezyed **

ABSTRACT

This study attempts to depict some social habits, wisdoms and traditions during the Abbasid era via studying the anecdotes (Makamat) of Badiea Al-Zaman Al-Hamathani (358-398 Hejri). These social habits include the habits of choosing friends and wives; means of entertainment, interest in searching for old treasures, and the importance of the outer appearance for man to achieve his social status.

Of importance among the social phenomena investigated is also the spread of poverty that led to some social practices such as beggary, mendacity and public baths.

The study also tries to investigate peoples' habits and manners when entering these baths, and their use of cursing and calling names among others.

* Teachers' College, Tabook, Saudi Arabia. Received on 7/9/2004 and Accepted for Publication on 5/4/2005.